الهوية والثـــــورة(*)

صياغة وتحرير: أ.محمد كمال محمد

جددت ثورة الخامس والعشرين من يناير الجدل حول هوية مصر بشكل صريح وضمني، وهو ما وضح في تصاعد الخطاب العلماني بمكوناته الليبرالية واليسارية برفض التعديلات الدستورية التي تمهد إلى إجراء انتخابات نزيهة وصياغة دستور جديد بعد هذه الانتخابات، بالإضافة إلى ما وقع من حوادث فتنة طائفية بعد أن سعد الجميع بتلاحم كافة مكونات الشعب فى ميدان التحرير، ودعوة قلة- وإن كانت ذات صوت عالٍ عبر الإعلام بأشكاله المختلفة عبر حملات منظمة - إلى تغيير المادة الثانية من الدستور والتي تنص على أن الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع. وهو الأمر الذي يستهدف النواة الصلبة الحاضنة لهوية مصر: إسلاميتها وعروبتها.

ومن الضروري التأكيد على أن الحديث عن الهوية المصرية لا ينحصر في مسألة الدين (مسلم / مسيحي). فالهوية لا تقتصر على الجانب الديني بل هناك التاريخ واللغة والثقافة والفكر والقيم الحاكمة التي ارتضى المجتمع أن تحكم سلوكه وتوجه مساراته فالقيم هنا هي موجهات السلوك وضوابطه وموازينه، وحامية البناء

(*) نص محرر لحلقة عصف ذهني عقدت فى مركز الحضارة للدراسات السياسية أدارتها أ.د. نادية مصطفى، وحضرها عدد من الأساتذة وشباب الثورة والباحثين منهم: أ.د. سيف الدين عبد الفتاح، د.هبة رءوف، د.حسين القزاز د. معتز عبد الفتاح، أ.توفيق غانم، أ.هشام جعفر، أ.مدحت ماهر، أ.وسام فؤاد، أ.نجوان الأشول، أ.عبد الله عرفان، أ.محمد كمال، أ.سمية عبد المحسن، أ.شيماء بهاءالدين.

الاجتماعي ومفعّلته. كما يجب التمييز بين عدة مستويات عند الحديث عن الهوية: هوية الدولة، هوية المجتمع، هوية النظام السياسي. فالقول بأن الديمقراطية والليبرالية والعدالة والمدنية والنهضة هي التي يجب أن تشكل ملامح هوية مصر الآن وجهة نظر تتعلق بهوية النظام السياسي، كما أن المكونات الخمس تحتاج لمن يملأ مضامينها، والذي يجب أن يحددها هو التيار الرئيس بما يحمله من تاريخ وثقافة وفكر، يتمثل هذا التيار الرئيس في الجماهير ونخبتها المنطلقة من ثوابت هذه الجماهير والمعبرة عنها. فمن يصيغ هوية النظام السياسي هو هوية المجتمع والدولة، وعكس هذه المعادلة معناه معاداة الهوية الأصلية للملايين وهو ما مثل أحد أسباب الثورة المصرية؛ حيث سعى النظام السابق حثيثًا لطمس هوية الشعب فلم يكن معبرًا عنها في توجهاته وسياساته الخارجية ولا الداخلية.

وقد أكدت وكشفت ذروة الثورة (٢٥ يناير- ١١ فبراير) عن النواة الصلبة الحاضنة لهوية مصر بكل تنوعاتها ومشاربها؛ فالغالبية العظمى التي شاركت في الثورة تعبر عن مجتمع مصري متدين- بمسلميه ومسيحييه -عروبي، يستوعب كافة ألوان الطيف السياسي من الليبراليين واليساريين. وَضَحَ ذلك في المليونيات أيام الجُمَع وإقامة الصلوات في ميدان التحرير ومختلف ميادين الثورة عبر بر مصر، ومشاركة مسيحيين من الكاثوليك والإنجيليين وبعض الأرثوذكس أقاموا صلواتهم في الميدان، مع تذكر منع البابا شنودة لطائفته من المشاركة صراحة وتأييده للرئيس المخلوع وقوله له «احنا معك» على شاشات التلفاز، كما أن مشاركة المسيحيين من باقي المحافظات في الثورة كانت مشاركة ضئيلة للغاية وانعدمت في معظم محافظات الصعيد خصوصًا أسيوط. أما العروبة فاتضحت في استلهام الثورة التونسية ودعم الثورة الليبية معنويًا وماديًا بالمساعدات الطبية فيما بعد.

تجاوزت الثورة في تلك الفترة الفصل المفتعل بين مكونات الشعب المصري فتجاور رقيق الحال قاطن الأحياء الشعبية مع ميسور الحال من أهل الأحياء الراقية،

وشارك في الثورة أهل العاصمة والأقاليم من خلفيات ثقافية وفكرية ومجتمعية وسياسية متعددة تناغمت وانسجمت في عمل ثوري مبدع.

هذه الحالة مثيرة للإعجاب لكنها عند أغلبية المتابعين لم تدم، بوصفها لحظة فريدة استثنائية أو «إتيكيت ثوري» تنازل الكل فيه عن تحفظاته ضد الكل، وليس تغييرًا جذريًا في الرؤى عند الجميع. إدامة هذه اللحظة الاستثنائية وجعلها طبيعة أمر يحتاج إلى جهد كبير؛ فالزخم الثوري في ميدان التحرير لم ينتقل بعد إلى المجتمع، ونحتاج إلى جهد منظم وعمل مخطط يتعلق بالتحول المجتمعي حتى لا ينفك المجتمع عن الثورة.

هذا الجهد المطلوب من جميع الأطراف تتحمل الأغلبية الجزء الأكبر من مسئوليته من خلال إدارة حوار مجتمعي على أرض الواقع يتمثل في العمل المشترك في القضايا المتفق عليها وهي قضايا تنموية ذات طبيعة عملية مترجِمة للمحتوى المتفق عليه من شعار الثورة: الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، ودور الأقلية يتمثل في المشاركة في البناء وعدم الاستفزاز غير المبرر بزعم أن من لم يأخذ الآن شيئًا فلن يأخذ شيئًا فيما بعد، وهو أمر يعبر عن منطق التفاوض لا منطق الحوار. فالحوار يحكمه وعي بمصلحة عليا، أما التفاوض فهو سعي للمصلحة الخاصة الفئوية في مباريات قوى. وفي هذا الإطار، فإن رفض التعديلات الدستورية يُخفي وراءه ترتيبًا يريد أن يحدد علاقة الدين بالدولة مرة واحدة وللنهاية لصالحه وفقًا لتصور خاص به في مواجهة إرادة الشعب، أي احتكار الحكم على التعديلات وهي معروضة لاستفتاء شعبي.

وينبغي التنبه إلى أن عدم استمرار الحالة التي ولّدتها الثورة من تلاحم القوى المختلفة لا ينفي أن كميات من الطاقة والفاعلين قد دخلت المجال العام السياسي. وتحركت مراكز الثقل لتتجاوز القوى التقليدية ولم تنفيها، لكنها صبت في عافية

النواة الصلبة للهوية المصرية. فالشباب اليوم يقدم نموذجًا مهمًّا وجديدًا بمرجعية متجاوزة تتماهى داخل الهوية المصرية المتدينة المنفتحة.

إن مقولة النواة الصلبة الحاضنة (الإسلام والعروبة) لا تعني أن الهوية أمر ناجز؛ بل إن مفاد وجود نواة يعني لزوم وجود دوائر متنوعة متراكبة غير متنافية تحتضنها وتظللها وتحتفي بها النواة الأساسية؛ لأن تلك الدوائر إثراء لها. فالإسلام يمثل عقيدة للمسلم، وحضارة للمسلم وغير المسلم باعتبار أن الحضارة الإسلامية العربية شارك في بنائها المسلمون والمسيحيون وغيرهم من أديان وأعراق مختلفة وهي التي تمثل الإطار الجامع لهذه المكونات. تلك الهوية ليست إقصائية استقطابية أو مفجرة للصراعات، وبالتالي لا تندرج تحت ما يصفه البعض بأنه «هويات قاتلة» إشارةً إلى ما يثيره الانتماء الديني من صراعات ووجوب تنحيته جانبًا.

وصفوة القول إن الثورة أكدت على لب هوية الأغلبية الصامتة التي أعلنت في جلاء مركزية الإسلام والعروبة في هوية مصر وأن العروة الوثقى التي تنعقد حولها هويتنا هي أن تكون مصر حرة مستقلة قوية. وهي هوية ذات مرجعية، وشرعية، وهي هوية جامعة وفعالة ودافعة للعمل.

وهذا هو السبيل للخروج من الاستقطاب ما بين النخبة، فالجماهير حسمت هويتها من خلال صياغة خطاب للهوية يشمل المبادئ والقيم في إطار واسع جامع، وهذه الجماهير تستحق أن تتحقق هويتها الإسلامية العربية في الدستور بجميع مواده -وليس الثانية فقط- وكذا القوانين والسياسات، ولكنه تحقق يجعلها هذه الهوية تجري فيها مجرى الماء في الورد من أجل تحقيق منظومة قيم الحرية والعدالة والكرامة. وهنا يمكن أن تلتقي النخب الإسلامية والاشتراكية والليبرالية على كلمة سواء.

مشروع مقترح للنهضة: شراكة مجتمعية من أجل بناء الوطن في ضوء امتداد ثورة ٢٥ يناير(*)

قامت في مصر ثورة فريدة في منطلقاتها ومنهجها وأهدافها وتوقيتها وإنجازاتها وفي مشروعها كله. إنها ليست ثورة تغيير وتطهير وتطوير لوطن وإقليم فحسب، بل هي -كما يبدو من شواهدها الأولى- إذنُ الله سبحانه وتعالى للأمة أن تنهض بعد كبوة، وأن تقدم للعالم النموذج الحضاري الإنساني الذي يحتاجه البشر بشدة.

تُقدم هذه الورقة ملامح أساسية لمشروع لنهضة الأمة في مرحلة ثورة ٢٥ يناير المستمرة والممتدة بإذن الله. نقدمها بين يدي حوار نرجو أن تتسع دوائره وتتسارع حركته وتنشأ عنه رؤى متكاملة ومسارات حركة وبرامج عمل ترشد عمليات شاملة نشيطة مركبة لنهضة الأمة.

نموذج ثورة ٢٥ يناير

من المهم جدًا فهم هذه الثورة؛ منطلقاتها وأهدافها وبنيتها ومنهج عملها، وفقًا لمنطقها لا وفقًا لمنطق نماذج وتجارب التغيير والتطوير الأخرى التي أَلِفناها. فإسقاط نموذج تقليدي على واقع وحدث غير تقليدي يقودنا لا محالة إلى رؤية ونتائج غير صحيحة. فما بعض أبرز ملامح نموذج هذه الثورة الفريدة؟

روافدها

روافد متعددة، سياسية وثقافية واجتماعية ورياضية وفنية، إلخ. تربى من خلالها شباب كثر على المبادرة والروح العملية والعمل في المحيط العام وكسر

(*) سبق إعداد هذ المقترح عقد حلقة نقاشية في ٢٦ فبراير ٢٠١١، عرض خلالها م/ إيهاب الفولي رؤية حول العمل التنموي في مصر وكيفية تنظيمه وتفعيله بحضور د.نادية مصطفى – د.سيف الدين عبد الفتاح - د.حسين القزاز وعدد من شباب الباحثين والناشطين، ثم دار حولها نقاش وحوار.

حواجز الخوف والعجز.

أيديولوجيتها ومرجعيتها

الأيديولوجية رابط فكري وعقدي بين مجموعة قيم أساسية وبين مسارات حركة وبرامج عمل. هذه الثورة اتسمت بأمر شديد التميز والخصوصية؛ حيث إنها تبنت مجموعة قيم إنسانية أساسية (الحرية والعدل والمساوة وما يتصل بها) اعتنقتها وتمثلتها ودافعت عنها في كل مطالبها وحركتها، مع استعداد كامل لاستيعاب كل من يتبنى هذه القيم ويدافع عنها بصرف النظر عن موقعه وبرنامجه المحدد ومواقفه المسبقة. هي بهذا الطرح أسست مرجعية عابرة ومتعدية للأيديولوجيات، مرجعية قيمية فوق أيديولوجية إذا صح التعبير. وهي مرجعية إنسانية مستمدة ومتطابقة مع المرجعية المصرية الدينية العميقة، النافذة فيها وراء تعددية المعتقد والفكر، والمتعايشة والمستوعبة لتلك التعددية طالما انتظمتها في النهاية نفس القيم الإنسانية الأساسية.

منهجية عملها

التشكيل والتكوين: عضوية مفتوحة متعددة في تشكيلات تنظيمية متنوعة ومرتبطة ارتباطات فضفاضة.

التكامل: منصات (platforms) للتكامل المبدع، عبارة عن مجالات مشتركة للاتصال والتحاور والتحرك وتبادل الخبرات وإطلاق المبادرات. أفلحت هذه المنصات في التوسيع المضطرد للمشاركين في أنشطة الثورة وتحركاتها، سواء في الميادين أو اللجان أو مبادرات العمل، كما نجحت في تطوير خططهم الميدانية وأساليب عملهم وحركتهم وتحريك مسيرة الثورة كلها بأشكال لم يتوقعها أو يسبقها حتى المشاركين فيها أنفسهم.

ملامح أساسية لمشروع النهضة المقترح

- مشروع يقوده وينفذه نشطاء الثورة الذين أسهموا فيها من خلال الروافد المتعددة المشار إليها، والذين سبقوا في صنعها والتمهيد لها والمشاركة في مراحلها الأولى، وكذلك الذين التحقوا بها وينتظر أن يستمروا في الانضمام إليها في مراحل لاحقة، وصولًا إلى مشاركة واسعة النطاق منسقة الجهود من المجتمع كله بأطيافه وفئاته وقواه، بدولته ومجتمعه المدني وقطاعه الخاص، إلخ.

- مشروع ينطلق من مرجعية الثورة ويلتزم بمنهجيتها المشار إليها، ويركز على مقومات أساسية للنهضة، ويتخير مستهدفات تحشد الجهود لإنجازها، ويبادر بمشروعات أو مبادرات كبرى لتحقيق هذه المستهدفات، وذلك كالآتي:

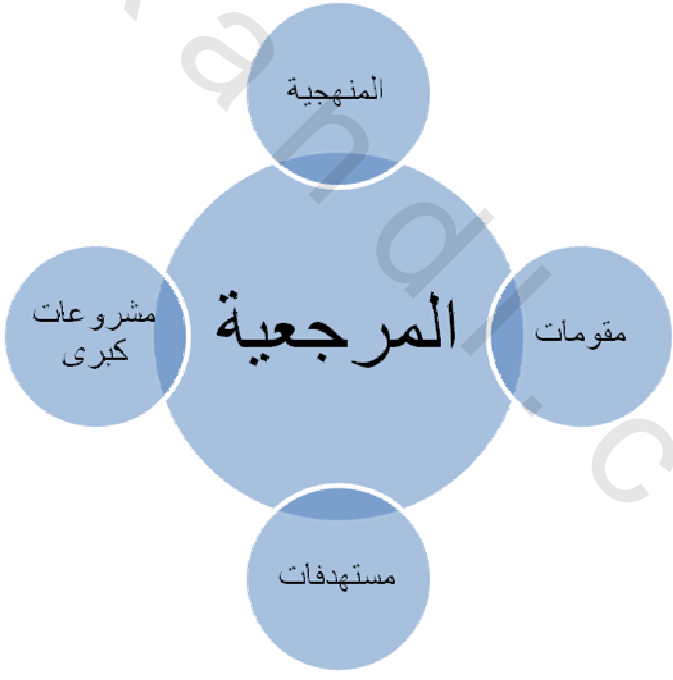

مرجعية

التمسك بمرجعية الثورة كما تبدت في أهم لحظاتها، والمشار إليها سابقًا، كمرجع وحكم على كل جوانب الحركة والبناء. والانتباه إلى أن هذه مرجعية مختلفة فلسفيًا بشكل عميق مع مرجعية الحضارة السائدة علمانية التوجه، نحن إذن نبني نموذجًا حضاريًا جديدًا ومختلفًا.

مقومات

- إطلاق طاقات المجتمع المصري:
  - إعادة ترتيب العلاقة بين الدولة والمجتمع،
  - وبين شرائح المجتمع (معرفة تعريفات مركبة، ليست تعريفات طبقة مبسطة ومصمتة)،
  - تطوير جذري عاجل في مؤسسات التنشئة الأساسية.
- ترشيد حركة المجتمع:
  - الخطاب والتربية الدينية،
  - الثقافة السياسية والعامة،
  - الاجتهاد في صياغة نماذج قطاعية ووظيفية وفنية مختلفة عن السائد ومتفقة مع مرجعية الثورة وقيمها الأساسية، وبالتالي بناء والترويج لأساليب وأنماط حياة مختلفة،
- حماية واستمرارية الثورة ومشروعها:
  - توسيع نطاقها،
  - تجنب التوسع والانشغال بمساحات الاختلاف،
  - زمام المبادرة والحركة إلى الأمام.

مستهدفات كلية

(معرفة بالخَصِم أو البناء) (نقطة الانطلاق تعريف واختيارات الشباب على أرض الواقع، مع الترشيد)

obeikandl.com

- على سبيل المثال: تعامل مع مشكلات مزمنة.
- تحقيق مؤشرات تنموية بالمنظور الإنساني الشامل.

مشروعات أو مبادرات كبرى

(معرفة أيضًا بالخصم أو البناء)

- مثلًا محو الأمية المجتمعية على عدد من الأسس: القراءة والكتابة، الأمية التكنولوجية، أمية المواطنة، إلخ.
- بناء مجتمعات عمرانية إنتاجية متكاملة (يلاحظ أن هذا النوع من المشروعات هو الذي تتجلى فيه ملامح المشروعات والمقومات التنموية الأخرى).

منهجية

- من خلال أشكال تنظيمية منفتحة متعددة العضوية (الأشكال المنظمة لكل جوانب العمل).
- تُبنى وتدار وفقًا للقيم الأساسية للثورة ومرجعيتها.
- وتتشابك من خلال منصات تكامل خلاقة تعمل على تحفيز وتمكين المشاركين في النهضة وتربط بين الأطراف المساهمة في المشروع النهضوي، فتربط الفكري بالتنفيذي، الجزئي بالكلي، القطاعي بالبنية التحتية، الدولة بالمجتمع المدني بالقطاع الخاص، إلخ.

التصميم العام لمشروع النهضة

- نقطة البدء في التفكير هي المصبات الأخيرة لجهود النهضة: أين ستصب المنصات والمشروعات والبرامج والموارد التي ستحشد لهذا المشروع؟

obeikandl.com

- الأحياء – القرى – (وبصفة عامة المجتمعات العمرانية بأشكالها ومستوياتها): حيث يعيش الناس،
- أماكن العمل، من هيئات وشركات ومصالح ومشروعات، إلخ: حيث يعمل الناس،
- المحيط العام، الثقافي والسياسي والاجتماعي والحضاري بشكل عام.

- المستوى الأعلى مباشرة هو مستوى المشروعات المحددة التي تستهدف التأثير على تلك الأنواع الثلاثة من المصبات.
- المستوى الأعلى هو مستوى المنصات التكاملية التي تربط وتوجه تلك المشروعات المحددة.
- ثم هناك مستوى الإطار التنسيقي العام لمشروع النهضة كله، والذي تشارك فيه الأطراف الفاعلة في المشروع كله.

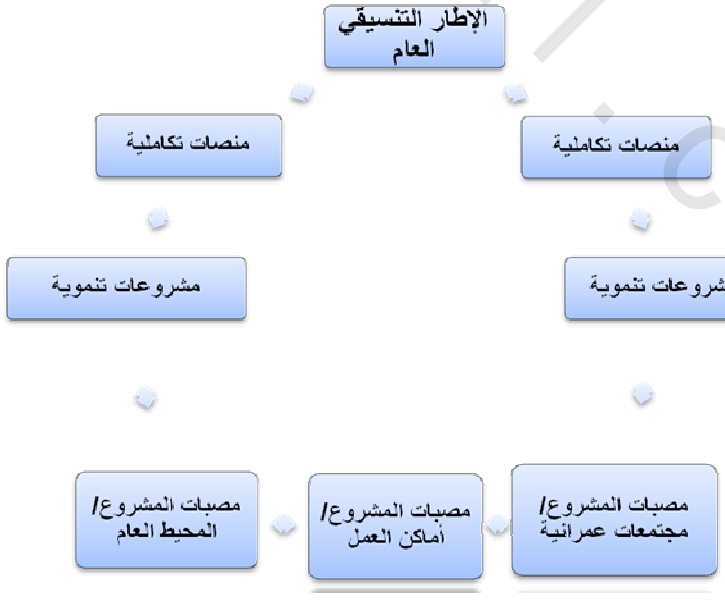

الإطار التنسيقي العام

- مطلوب الاجتهاد في شكل وهيكلية وآليات عمل إطار تنسيقي يطلق مشروع النهضة، ويحدد أولوياته، ويشرف على حركته العامة، بحيث تمثل فيه الأطراف الرئيسة من دولة ومجتمع مدني وقطاع خاص، ومن قوى مجتمعية وسياسية متنوعة، ومن قادة للثورة ومساهمين في التنمية من مواقع مختلفة.
- مقترح أن تتسع القاعدة التمثيلية لهذا الإطار، ولكن تنشأ عنه آلية تنسيق وقيادة صغيرة الحجم، فعالة الحركة، واسعة الصلاحيات.
- الشرطان الرئيسيان للمشاركة الفاعلة في هذا الإطار هما:
  - الالتزام بالمرجعية الأساسية للمشروع (وبالتالي فهذه ليست وحدة حزبية أو حكومية أو قطاعية، إلخ، بل هي مظلة وطنية تمثل الوطن وتقود مشروعه النهضوي).
  - المشاركة النشطة الفعالة في واحد أو أكثر من مسارات المشروع النهضوي.
- المهمة الأولى لهذا الإطار التنسيقي هو التحاور بشأن مقومات النهضة ومستهدفاتها الأولية:
  - يمكن أن تكون نقطة البدء فيه هي النقاط العامة المشار إليها عاليه عن إطلاق طاقات المجتمع وترشيد حركته والحفاظ على استمرارية الثورة.

المنصات التكاملية

الأسئلة المفصلية لتصميم المشروع:

- ما المنصات المقترحة؟
- كيف تحصل كل منصة على مدخلاتها؟

obeikandl.com

- من المساهمين النشطاء؟
- المنصات الفكرية (المؤكدة لمرجعية المشروع) والاستراتيجية
- المنصات الفنية (قطاعية وغيرها)
- المنصات التمويلية

- كيف تتركب المنصة؟
- كيف ترتبط المنصة شبكيًا بمحيطها؟

اقتراح مبدئي بمنهجية لتحديد المنصات المقترحة وأمثلة عليها

حيث إن المنصات التكاملية رابط بين مستهدفات كلية (يتفق عليها في الإطار التنسيقي العام) وبين مشروعات موجهة إلى واحد أو أكثر من المصبات الرئيسية للمشروع، فإن نقطة البداية في تحديدها هي الاجتهاد في التعريف المفصل نوعًا لمعايير إنجاز هذه المستهدفات، مع طرح السؤال: ما الإطار الكفء لإيجاد فضاء مشترك بين العناصر الأساسية المطلوب مساهمتها في تحقيق تلك المعايير للإنجاز؟ على سبيل المثال:

- في إطار المقوِّم العام المتعلق بإعادة صياغة العلاقة بين المجتمع والدولة: قد يدور واحد من المستهدفات حول تحرير مؤسسات مجتمعية معينة من قبضة الدولة أساسًا وتفويض القائمين عليها والعاملين فيها في توجيه حركتها بالكامل (مثل قطاعي التعليم الجامعي، والأزهر)، فقد يتم تأسيس منصة لكل من قطاعي التعليم الجامعي ومؤسسة الأزهر.
- في إطار المقوم المتعلق بإطلاق طاقات المصريين للمساهمة في التنمية، قد يدور واحد من المستهدفات حول إزالة معوقات الزواج والحفاظ على وتطوير مؤسسة الأسرة، ومن ثم قد نفكر في تأسيس منصة للحفاظ على وتطوير الأسرة المصرية.

obeikandl.com

- قل مثل ذلك عن أمثلة على منصات لإطلاق ودعم مشروعات في صناعات قاطرة للتنمية، ولمحو الأمية المجتمعية بتعريفها الواسع، إلخ.

يترتب على هذه المنهجية أننا نحتاج إلى العمل على توفير دعم فكري واستراتيجي وفني (في مؤسسات وأطر رأسية) تقوم بتقديم هذا الدعم للمنصات المختلفة.

طبيعة وأدوار وهيكل وإطار قانوني مقترح لبعض المنصات التكاملية

- شركة رأسمال مخاطر لإدارة صناديق الاستثمار تنشئ منصات تكاملية تتيح للجمهور والمجموعات الكبيرة المشاركة في مبادرات الأعمال بأشكالها المختلفة.
- تقوم المنصات التكاملية بتحفيز وتمكين وربط المستخدمين والمستفيدين بالموردين ومقدمي الخدمات.
- تقوم شركة رأس المال المخاطر بإدارة منظومة الأعمال المتكاملة كجزء من خدماتها المهنية المضيفة للقيمة.
- تمثل المنصات بورصات إلكترونية متخصصة يقوم عبرها الجمهور بتبادل الخدمات والمنتجات والمعلومات.
- يتم تأسيس مجموعة من المؤسسات غير الحكومية المقسمة قطاعيًا لتغطية مجالات استراتيجية متعددة.
- تقدم هذه المؤسسات غير الحكومية دعمًا فنيًا وأطرًا عامة لحركة هذه المنصات التكاملية، وذلك على حسب طبيعة هذه المنصات.
- تغطي شركة رأس المال المخاطر مصاريف وأتعاب هذه المؤسسات غير

الحكومية من خلال عوائد أموال تستثمرها هذه الشركة.

أدوار مقترحة لشركة رأس المال المخاطر

- توفير التمويل.
- تأسيس منصات تكاملية.
- اقتراح مبادرات تأسيسية، ومشروعات نموذجية.
- اقتراح أنظمة وآليات.
- عمليات التوعية.
- تيسير التكامل والربط.
- التوجيه والإرشاد.
- تعريف التحديات والطموحات.

شعار المرحلة الحالية من مشروع النهضة: من الثورة إلى البناء

البناء على الكتلة الحرجة التي قامت بالثورة، الحفاظ عليها وعلى طاقة حركتها وتوسيعها بحيث تصبح كتلة حرجة قادرة على إطلاق نهضة شاملة سريعة تقدم نواة المشروع الحضاري الذي ينتظره العالم. على سبيل التوضيح: إذا كانت الكتلة الحرجة للثورة ثلاثة إلى أربعة ملايين مصري انتظم في صفوف الثورة وأصر عليها وما زال مشاركًا في زخمها الأساسي واتجاهات حركتها العامة، فعلينا أن نستهدف الحفاظ على هؤلاء، وتوسيع الدائرة بحيث تصل إلى عشرين مليونًا من المصريين، المندمجين والمصرين على إنجاز عملية بناء وتنمية وإصلاح على نهج هذه الثورة تواصلًا واستلهامًا لنموذجها الفريد.

***

obeikandl.com